بخوف العرب من الهجرة اليهودية المستمرة الى فلسطين ، التي قد تؤدي الى سيطرة اليهود عليهم »[٥٤] .

صموئيل يعيد النظر

لم تمر اضطرابات ايار ١٩٢١ دون ان تترك اثارها . وكان صموئيل نفسه من بين من اثرت فيهم . فقد دفعته الى النظر في سياسته الفلسطينية[٥٥] ، واسلوب حل المشاكل التي تواجهه ، ومن ثم العمل على اقناع لندن بوجهة نظره . وكان صموئيل ، من خلال ممارسته عمله كمندوب سام ، قد تكونت لديه قناعة باستحالة تنفيذ البرنامج الصهيوني بحده الاقصى ، او الاستجابة لكل طلبات الصهيونيين : نظرا لمعارضة العرب من ناحية ، وضعف الحركة الصهيونية وقلة امكاناتها المالية من ناحية ثانية . وكان من نتيجة ذلك ان عجزت المؤسسات الصهيونية في فلسطين حتى عن استيعاب تلك القلة من المهاجرين التي وصلت الى البلد حتى ذلك الوقت ، مما ساهم في تفاقم المشاكل الاقتصادية التي سيطرت عليه خلال سنتي ١٩٢١ ــ ١٩٢٢ ، وادى الى تقوية شعور لدى صموئيل بأن الصهيونيين لاسيما وايزمان ، قد « خدعوه » ، عندما حملوه على القبول بمنصب المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، بعد ان اوهموه بأنهم قوة يمكن الاعتماد عليها ، في البلد وخارجها[٥٦] . وجاءت اضطرابات ايار لتخلق مشاكل جديدة ، وتزيد تلك القناعات لدى صموئيل رسوخا ، ولتدفعه الى بلورة سياسة (انتهجها حتى نهاية ولايته سنة ١٩٢٥) تستند الى العمل اولا على تامين المصالح البريطانية في فلسطين[٥٧] ، من خلال تحميل بريطانيا اقل مدى ممكن من الاعباء الاقتصادية والسياسية ، خصوصا ان اوضاعها الاقتصادية لم تكن على ما يرام ، في مطلع العشرينات . كما كانت تعاني من اضطرابات سياسية في مستعمراتها . اما العرب فقد دعت تلك السياسة الى التساهل معهم[٥٨] وتقديم « التنازلات » لهم ، ما دام ذلك لا يمس اسس نظام الانتداب ، بواسطة تشجيع الزعماء المعتدلين بينهم ، ومحاولة استيعاب المتطرفين منهم باغداق المناصب والالقاب عليهم واقامة علاقات شخصية ودية معهم من جهة ، وضرب الطرفين ببعضهما البعض ، ومحاولة الهائهما بقضايا جانبية من جهة اخرى . اما الصهيونيون (الضلع الاخير في مثلث الصراع الفلسطيني ــ البريطاني ــ الصهيوني) فقد كان عليهم ان يحصلوا على التسهيلات الملائمة لحجمهم فقط ، دون الاهتمام باحاديثهم عن كبار الامور ، حتى لو ادى ذلك الى اغضابهم ، ومن ثم دفعهم الى اعتماد سياسة النفس الطويل اسلوبا لاقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين[٥٩] .

كانت اولى دلائل سياسة صموئيل هذه ، خطاب القاه يوم ٣ حزيران ١٩٢١ ، بمناسبة عيد ميلاد ملك بريطانيا ، قدم فيه تفسيرا جديدا لوعد بلفور ، انكر بموجبه ان يكون هدف بريطانيا من ذلك الوعد تمكين الغرباء من السيطرة على عرب فلسطين ، واماكنهم المقدسة واراضيهم ، بل السماح لعدد من اليهود ، يحدد وفق مصالح السكان الحاليين ، بالقدوم الى البلد والمساهمة في تطويرها ، بما يتلاءم مع مصلحة جميع سكانها[٦٠] . وفي نهاية خطابه ، قال صموئيل : « لو راينا انفسنا في حاجة الى اتخاذ اية اجراءات لاقناع السكان المسلمين والمسيحيين بأن الحكومة ستراعي عمليا ، وفي تطبيقها ، هذه المبادىء وتحافظ على حقوقهم محافظة تامة ، فاننا لن نتوانى عن اتخاذها . وليس من المعقول ان تفرض الحكومة